القاعدة السادسة

يلزم (1) في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين (2)

أحدهما : التمثيل (3) والثاني : التكييف

فأما التمثيل : فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين (4) وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل 0

أما السمع : فمنه قوله تعالى : { ليس كمثله شيء } (5) [الشورى : 11]

---

(2) أي يجب ذلك قطعاً وقد سبق حكم ذلك في القاعدة السابعة 0

(2) وهنا يرد سؤال وهو: لماذا لم يقل المؤلف أنه يجب التخلي عن التعطيل والتحريف أيضاً ؟

الجواب : ان المؤلف قد ذكر أن المثبت للصفة يجب عليه التخلي عن محذورين أما المعطل والمحرف فقد نفى الصفة ولم يثبتها 0

(3) سيأتي في كلام المؤلف وجه تعبيرة بالتمثيل 0

(4) انظر بطلان ذلك في كتاب اتمام المنة بشرح اعتقاد أهل السنة د 0 إبراهيم البريكان ص 42

تنبيه :

I- كلام المؤلف في أن مثبت الصفات يلزم منه أن يتخلى عن التمثيل ليس على إطلاقه بل هو مقيد بما سيأتي في القاعدة السابعة وفي القاعدة الأولى من قواعد الأدلة أن العبرة في ذلك الإثبات هو الكتاب والسنة لأننا لو أخذنا ذلك على الإطلاق احتج

علينا المثبت لجميع الصفات ولو لم ترد في الشرع ولو كانت صفات نقص بنفي المشابهة و التكييف وهذا باطل لأنه سيصف الله بالأعضاء والبكاء والحزن والجوع والعطش وغير ذلك من النقائص ويزعم أنه بلا تشبيه وهذا ما ذكره شيخ الإسلام في التدمرية مع شرح فالح أل مهدي ص 290 .

II- نفي المماثلة لا يعني نفي أصل الاشتراك فالإنسان جسم والحجر جسم إلا أنهما يختلفان والإنسان موجود والله موجود إلا ان وجود كل منهما يخصه 0

(5) أي ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله ، ذكره السعدي في تفسيره (4/412) .

وقوله : { أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون } (1) [النحل : 17] وقوله : { هل تعلم له سمياً } (2) [مريم : 65] وقوله : { ولم يكن له كفواً أحد } [الإخلاص : 4] (3)

0• وأما العقل : فمن وجوه :

الأول : أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تبايناً (4) في الذات وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات لأن صفة كل موصوف تليق به كما هو ظاهر في صفات المخلوقـات المتبايـنة في الذوات فقوة البعير (5) مثلاً غير قوة 0

(1) في الآية استفهام إنكاري على الذين يجعلون الله مشابهاً لخلقه وسيأتي في الملحق مزيد من التفصيل في شرح الآية لأهميتها .

(2) أي هل تعلم لله مشابهاً ومماثلاً من المخلوقين وهذا استفهام بمعنى النفي المعلوم بالعقل ، ذكره السعدي في تفسيره (3/213).

(3) يراجع في فهم الآية إلى شراح هذه السورة وقد ذكرناهم سابقاً 0

(4) اختلافاً 0

(5) سمى بعيراً لأنه يبعر وهو اسم يقع على الذكر والأنثى وهو من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس ذكره الدميري في حياة الحيوان الكبرى (1/167) 0

الذرة (1) فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث (2) فظهور التباين بينهما وبين الخالق أجلى وأقوى (3) .

الثاني : أن يقال كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهاً في صفاته للمخلوق في المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله وهل

اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق؟ فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصاً (4) .

---

(1) الذرة بالضم ضرب من الحب مأخوذ من ذرا على ما في معاجم اللغة إلا ابن دريد في جمهرته (2/696) فقد ذكره في (ذرة) انظر اللسان (5/41) وتهذيب الأزهري (15/8) أما الذرة بالفتح فجمعها الذر وهي النمل الأحمر الصغير كما في حياة الحيوان للدميري (1/455) وأتى بفوائد كثيرة 0

وقال ابن عباد في المحيط في اللغة (10/55) الذر : صغار النمل والواحدة ذرة ا 0هـ

وذكر السمين في عمدة الحفاظ (2/38) أن الذر فيها قولان أحدهما النملة الصغيرة كما ذكرنا واستشهد بما قاله امرؤ القيس :

من القاصرات الطرف لو دب محول ****من الذر فوق الإتب منها لأثرا

والقول الثاني : إنها الهباء وهو مارئي في شعاع الشمس من كوة ونحوها ا 0هـ

وللجاحظ كلام جميل في الحيوان (2/7) عن حياة الذرة 0-

وأختم الكلام بما رواه الإمام أحمد في مسنده (2/363) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقتص الخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة 0

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/355) رجاله ، جال الصحيح ا 0هـ

(2) الإمكان والحدوث مترادفان وهو ما يتصور العقل عدمه وقد سبق 0

(3) وجه ذلك أن الخالق واجب الوجود والمخلوق ممكن فظهور التباين بينهما أولى من التباين بين الممكنات 0

(4) بل المقارنة بين الكامل والناقص يحط من قدره ويجعله ناقصاً إذا لم يكن على سبيل الإلزام : ألم تر أن السيف ينقص قدره **** إذا قيل ان السيف أمضى من العصا

أما إذا كان على سبيل الالزام فإنه لا يدل على النقص كما قال تعالى {آلله خير أما يشركون }

الثالث : أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف فـي الحقيقة والكيفية فنشاهد أن للإنسان يداً ليست كيد الفيل (1) وله قوة ليست كقوة الجمل (2) مع الاتفاق في الاسم فهذه يد وهذه يد وهذه قوة وهذه قوة وبينهما تباين في الكيفية والوصف فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة 0

---

(1) الفيل معروف ، وجمعه أفيال وفيول وفيله ولا تقل : أفيلة ذكره الدميري في حياة الحيوان الكبرى (2/159) .

وانظر الحيوان للجاحظ (2/562) .

(2) الجمل هو الذكر من الإبل وجمعه جمال وأجمال وجمائل وجمالات قال تعالى { كأنه جمالات صفر ، قال أكثر المفسرين : هي جمع جمال كرجال ا 0هـ من حياة الحيوان للدميري (1/250)وكان الأولى أن يعبر المؤلف بالبعير لأنه يشمل الذكر والأنثى بخلاف الجمل فإنه للذكر وذلك مقابلة مع الفيل الذي ذكره فإنه يشمل الذكر والأنثى إلا إذا كان المؤلف يرى أن الفيل

خاص بالذكر والزنربيل للأنثى كما هو قول بعض أهل اللغة فإن ما ذكره مناسب لأنه حينئذ يكون الفيل والجمل للذكر .

انظر ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري (4/432)

والتشبيه كالتمثيل وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات والتشبيه التسوية في أكثر الصفات (1) لكن التعبير بنفي التمثيل أولى

---

(1) التمثيل هو إثبات مثيل للشيء أي نقول هذا مثل هذا والتشبيه هو إثبات مشابه للشيء أي هذا مشابه لهذا 0

وهل بينهما فرق ؟

قيل إنه ليس بينهما فرق ولهذا نجد العلماء يعبرون بذلك على أنهما شيء واحد وقيل بل إن هناك فرقاً :

فالتمثيل يقتضي المماثلة وهي المساواة من كل وجه

التشبيه يقتضي المشابهة وهي المساواة في أكثر الصفات 0

والتشبيه الذي ضل فيه الناس على نوعين :

أولاً: تشبيه المخلوق بالخالق وهو إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالـق من :

الأفعال	والحقوق	والصفات
كفعل من أشرك في الربوبية ممن زعم أن مع الله خالقا مثاله : غلاة الباطنية الذين يزعمون أن أوليائهم يديرون الكون 0 مثال آخر : الثنوية من المجوس الذين يقولون إن للحوادث خالقين فالنور لخلق الخير والظلمة لخلق الشرً	كفعل المشركين بأصنامهم حيث زعموا أن لها إلهاً حقاً في الألوهية فعبدوها مع الله 0	كفعل الغلاة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره كمدح المتنبي : فكن كما شئت يا من لا شبيه له وقول البوصري : يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حدوث الحادث العمم فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

ثانياً :تشبيه الخالق بالمخلوق :

أي أن يثبت لله في ذاته وصفاته من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق مثل أن يقول :

إن يدي الله مثل أيدي المخلوقين ، واستواءه مثل استواء المخلوق وهكذا 0 =

لموافقة القرآن { ليس كمثله شيء } (1) [الشورى : 11]

=وقد قيل أن أول من عرف بهذا النوع هو هشام ابن الحكم الرافضي أما تشبيه ذات الله بذات المخلوق فلا يعلم أن أحداً قاله 0

(1) *سئل الشيخ بن عثيمين : أيهما أولى : التعبير بالممثلة أم التعبير بالمشبهة ؟

فأجاب قائلاً : التعبير بالممثلة خير من التعبير بالمشبهة لوجوه ثلاثة :

الوجه الأول : أن نفي التمثيل هو الذي ورد في القرآن الكريم ، ولم يرد في القرآن نفي التشبيه ، واللفظ الذي هو التعبير القرآني خير من اللفظ الذي هو التعبير الإنساني قال الله تعالى : { ليس كمثله شيء } 0

الوجه الثاني : أن التشبيه لا يصح نفيه على الإطلاق لأنه ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك اتفقا فيه وإن اختلفا في الحقيقة ، فلله وجود ، وللإنسان وجود ولله حياة وللإنسان حياة وهذا الاشتراك في أصل المعنى – الحياة – نوع من التشابه ، لكن الحقيقة أن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق فحياة الخالق ليست كحياة المخلوق 0

فحياة المخلوق ناقصة مسبوقة بعدم وملحوقة بفناء ، وهي أيضاً ناقصة في حد ذاتها ، يوم يكون طيباً ، ويوم يكون مريضاً ، ويوم يكون متكدراً ، ويوم يكون مسروراً وهي أيضاً حياة ناقصة في جميع الصفات ، البصر ناقص ، السمع ناقص، العلم ناقص، القوة ناقصة ، بخلاف حياة الخالق جل وعلا ، فإنها كاملة من كل وجه

الوجه الثالث : أن بعض أهل التعطيل يسمون المثبتين للصفات مشبهة فإذا قلت : من غير تشبيه فهم هؤلاء أن المراد من غير إثبات صفة ، ولذلك نقول : إن التعبير بقولنا من غير تمثيل أولى من التعبير بالتشبيه 0

وأما التكييف (1) فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير أن يقيدها بمماثل (2) وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل :

---

(1) التكييف : مشتق من الكيف 0
والكيف هو الهيئة والماهية والشكل 0
فيكون التكييف هو حكاية كيفية الصفات وشكلها أو هيئتها ، كطولها وعرضها وحجمها ونحو ذلك 0
انظر شرح منظومة أبي الخطاب للبريكان ص 72 ، وكليات أبي البقاء الكفوي ص 752.
ملاحظة : المنفي في الصفات هو التكييف لا الكيفية لأن كل صفة لها كيفية وقد نص عليها الأشعري في رسالة الثغر ص 72 إلا أن الواجب تفويضها 0
قال ابن قدامة في الروضة (1/72) : والكيفية ما يصلح جواباً للسؤال بكيف ا0هـ
وذهب علوي السقاف في مقدمة كتاب ابن الجوزي المسمى بدفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص 71 إلى أن الكيف منفي عن الرب عز وجل أيضاً واستدل بقول الإمام مالك الذي سيأتي وهذا مردود لأن كلام الأئمة في نفي التكييف لا الكيفية 0
(2)هذا هو الفرق بين التمثيل والتكييف 0
فالتكييف هو أن يحكى كيفية الشيء سواء كانت :

مطلقة	مقيدة بشبيه
مثل : اشتريت سيارة صفتها كذا وكذا ولكنه لا يذكر مثيلاً لها	أن يقول : اشتريت سيارة مثل هذه السيارة 0

أما التمثيل فيكون مقيداً بالمماثل :

فيكون التكييف أعم لأن كل ممثل مكيف وليس كل مكيف ممثلاً

انظر تلخيص الحموية للمؤلف ص 55

٦٨٥ أما السمع : فمنه قوله تعالى : { ولا يحيطون به علماً } (1) [طه : 110] وقوله : { ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً } (2) [الإسراء : 36] ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها فيكون تكييفنا قفواً لما ليس لنا به علم وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به 0

٦٨٦ وأما العقل : فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته أو العلم بنظيره المساوي له أو بالخبر الصادق عنه وكل هذه الطرق (3) منتفية في كيفية صفات الله عز وجل فوجب بطلان تكييفها 0

وأيضاً فإننا نقول : أي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى ؟

إن أي كيفية تقدرها في ذهنك (4) فالله أعظم وأجل من ذلك 0

وأي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذباً فيها لأنه لا علم لك بذلك وحينئذ يجب الكف عن التكييف تقديراً بالجنان (5) أو تقريراً

---

(1) أى لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم عليه كما في آية البقرة 0

عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير ، اختصار أحمد شاكر (2/162)

(2) سبق بيان معنى الآية في القاعدة الخامسة من قواعد الأسماء

(3) أي الطرق لمعرفة كيفية الشيء ثلاثة هي :

أ- معرفة ذاته ب- معرفة نظيره المساوي ج - الخبر الصادق عنه

(4) ليس هذا من باب الجواز الشرعي وانما من باب التنزل مع الخصم وهذه طريقة سلكها القرآن وجرى عليها العلماء والشعراء ومن ذلك قوله تعالى { قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين }

(5) أكد المؤلف أنه يجب الكف عن التكييف تقديراً بالقلب فلا تتوهم ولا تقدر في نفسك 0

باللسان أو تحريراً بالبنان (1)

ولهذا لما سئل مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى : { الرحمن على العرش استوى } [طه : 5] كيف استوى ؟ أطرق رحمه الله برأسه حتى علاه الرحضاء (العرق) ثم قال : " الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة (2) "

وروى عن شيخه ربيعة أيضاً : " الاستواء غير مجهـول والكيف غير

---

(1) أي بالكتابة

(2) 0 أخرج هذا الأثر:

- اللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " (2/398)

ㄱ- والبيهقي في " الأسماء والصفات " (2/150-151) من طريقين مع اختلاف يسير بينهما في الألفاظ وفي كتاب الاعتقاد (ص 56)

ㄴ- والدرامي في " الرد على الجهمية " ص 33

ㄷ- وأبو اسماعيل الصابوني في " عقيدة السلف " ص 17-19 ، من ثلاثة طرق

ㄹ- وابن عبدالبر في " التمهيد " (7/151)

ㅁ- وأبو نعيم في " الحلية " (6/352-326)

ㅂ- والذهبي في " السير " (8/89-90-95)

ㅅ- وذكره في " العلو" ص 103-104 ، المختصر ص 141 ، وحكم عليه بالصحة ، وقال : إن هذا ثابت عن الإمام مالك

ㅇ- وكذا ذكره ابن قدامة في " لمعة الاعتقاد " ص 4 ، وفي " العلو " ص 172-173

ㅈ- والسيوطي في " الدر المنثور " (3/473)

ㅊ- والبغوي في " شرح السنة " (1/171)

ㅋ- وجود اسناده الإمام ابن حجر في " الفتح " (13/407) فقال : وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبدالله بن وهب .....فذكره

ㅌ- انظر الفتوى الحموية بتحقيق التويجري ص 308

معقول " (1) وقد مشى أهل العلم بعدهما على هذا الميزان (2) وإذا كان الكيف غير معقول ولم يرد به الشرع فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي فوجب الكف عنه فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته فإنـك إن فعلـت وقعت في مفاوز (3)لا تستطيع الخلاص منها وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته فالجأ إلى ربك فإنه معاذك وافعل ما أمرك بـه فإنه طبيبك (4) قال الله تعالى : { وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم } (5) [فصلت : 36]

---

(1) ذكر شيخ الإسلام أن إسناد كلهم أئمة ثقات 0

ㅍ- وأخرج هذا الأثر اللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " (2/398) 0

ㅎ- والبيهقي في " الأسماء والصفات " (2/151) 0

ㄱ- والعجلي في " تاريخ الثقات " ص 158 ، رقم 431.

ㄴ- ورواه الذهبي في " العلو " ص 98 بإسناده إلى سفيان الثوري 0

ت- وابن قدامة في " العلو " ص 164 .

ج- وقد صحح شيخ الإسلام هذا الأثر ، وقال في الفتاوى (5/365) : " وهذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك " أ0هـ ،وانظر : در تعارض العقل والنقل (6/264) ، وكذا حكم عليه الألباني بالصحة ، انظر : مختصر العلو ص 132) والفتوى الحموية بتحقيق التويجري ص 307 .

(2) ويستعمل ذلك في جميع الصفات الذاتية والفعلية.

(3) المفاوز جمع مفازة وسميت بذلك لأنها مهلكة من فوز أي هلك ، وقال ثعلب سميت المفازة من فوز الرجل إذا مات أي صار في مفازة بين الدنيا والآخرة 0

انظر لسان العرب لابن منظور (10/347) وتهذيب اللغة للأزهري (13/264) ، والعين للخليل بن أحمد (7/389).

(4) يوصف الله بالطبيب كما في حديث أبي رمثة الذي رواه أبو داود وابن حبان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " الله الطبيب " صححه الألباني في السلسة برقم (1537) ، بل ذكر البيهقي وابن العربي والقرطبي أنه اسم من أسماء الله 0

(5) والشاهد أن العبد يسأل الله مفتقراً إليه أن يعيذه ويعصمه ذكره السعدي في تفسيره (4/399) 0

ملحق القاعدة السادسة

ذكرنا في الحاشية أننا سنفصل القول في الآية التي استشهد بها المؤلف وهي قوله تعالى { أفمن يخلق كمن لا يخلـق أفـلا تذكرون } [النحل : 17] ففي الآية تشبيه مقلوب إذ مقتضى الظاهر عكسه لأن الخطاب لعباد الأوثان حيث سموها آلهة تشبيهاً به تعالى فجعلوا غير الخالق كالخالق فجاءت

المخالفة في الخطاب كأنهم لمبالغتهم في عبادتها ولإسفافهم – بالتالي – وارتكاس عقولهم صارت عندهم الأصل وصار الخالق الحقيقي هو الفرع فجاء الإنكار على وفق ذلك .

وللتشبيه المقلوب أسرار كثيرة منها هذا السر الذي ألمعنا إليه ومنها أن ينسى الإنسان أن المشبه به هو المقدم لشدة ولعه بالمشبه فيعكس التشبيه كما فعل البحتري في وصف البركة التي بناها المتوكل على الله إذ قال :

كأنها حين لجت في تدفقها **** يد الخليفة لما سال واديها

والمعهود أن تشبه يد الخليفة في تدفقها بالكرم بالبركة إذا تدفقت بالماء 0

هذا وقد جرى الشعراء على مذهب القلب كثيراً فمنهم من أصاب كما أصاب أبو عبادة البحتري ومنهم من أخطأ وتعسف 0

وفي قوله تعالى أيضاً " أفمن يخلق كمن لا يخلق " تغليب إذ المراد بمن لا يخلق الأصنام وجاء بمن الذي هو للعقلاء ذوي العلم وذلك لأنهم لما عبدوها وسموها آلهة أجروها مجرى أولي العلم فجيء بمن على اعتقادهم ووفق ما هو مركوز في سلائقهم ،

وأيضاً للمشاكلة بينهما وبين الخالق الحقيقي وهو المعبر عنه بقوله "أفمن يخلق كمن لا يخلق"
قال العز بن عبد السلام هذه الآية مشكلة لأن قاعدة التشبيه تقتضي أن يقال أفمن لا يخلق كمن يخلق ولا يقال أنهم كانوا يعظمون الأصنام أكثر من الله لأنهم لم يقولوا ذلك وإنما قالوا : نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى بخلاف قوله تعالى : أفنجعل المسلمين كالمجرمين وقوله : أم نجعل المتقين كالفجار فإنهم لما كانوا يقولون نحن نسود في الآخرة كما سدنا في الدنيا جاء الجواب على وفق معتقدهم انهم أعلى والمؤمنون أدنى 0
وأجاب شيخ الإسلام زكريا في فتح الرحمن : " بأن الخطاب لعباد الأوثان وهم بالغوا في عبادتها حتى صارت عندهم أصلاً في العبادة والخالق فرعاً فجاء الإنكار على وفق ذلك ليفهموا المراد على معتقدهم ا0هـ من كتاب إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحي الدين الدرويش (5/280)0